CC BY

الثقافة الماديَّة الغربية وانعكاساتها على الحِرَف اليدويَّة الشرقيَّة

دراسة تحليليَّة اجتماعيَّة في أَسواق الموصل

فائز محمد داؤد *

تأريخ التقديم: 2022/8/28 تأريخ القبول: 2022/10/10

المستخلص:

إنَّ هذا البحث يسلط الضوء على الحِرَف اليدويَّة وأَبعادها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة وكما لها الأَثر الواضح على التماسك الأُسري تبعًا لظروف الحرفة التي تعطي صورة واضحة عن التراث الموصلي فضلًا عن أَنَّها توفر مردود اقتصادي بوصفه مدخلًا للفرد والأُسرة التي لربَّما تعتاش عليها ثم بيان الأَدوار التي مرَّت بها منذ تاريخ بعيد وما وصلت إِليه في الوقت الحاضر في ظل الظروف الاقتصادية التي يمر بها قطرنا، ومنها مدينة الموصل بعد عام 2003 إِلى حد الآن مِمَّا أَثَّر وبشكل واضح على غياب الكثير من الحِرَف التي كانت تزاول في أَسواق مدينة الموصل، ولهذا الموضوع أَهميَّة كبيرة كونه أَخذ يؤثر على التماسك الأُسري وعلى كيان الأُسرة نفسها، ارتأينا أَن ندرس أَبعاد هذه الظاهرة، وأَسباب اندثار الكثير من الحِرَف تقريبًا وتأثيرها على حياة الناس وطريقة عيشهم الجديدة ولربَّما ضعف تماسكهم الأُسري، كذلك تأثيرها على الاقتصاد العراقي كل هه الظروف مجتمعة دعتنا للوقوف أَمام هذه الظاهرة وأَسبابها.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الغربية ، الحِرَف اليدوية ، الموصل ، الأَسواق.

المقدمة

من الواضح ان الحياة البشرية مرت بمراحل عديدة منذ ان ظهر الفجر الأول للعيش والحياة وقد تباينت هذه الحياة في المد والجزر، بعد ان وطأة قدم سيدنا آدم

* أُستاذ مساعد/قسم علم الاجتماع/كلية الآداب/جامعة الموصل.

(عليه السلام) على الأرض وجعله الله (سبحانه وتعالى) خليفة للبشرية جمعاء، ومن هنا بدأ الإنسان يكيف نفسه وحضورهُ مع الواقع الذي يعيشه وذلك لتطوير ما حوله وتسخيرهُ لخدمته هكذا هي البدايات الأولى للإنسان على الرغم من بساطتها؛ إذ باشر بالصيد متخذاً منه حرفه وطريقة للعيش واسلوباً للحياة من أَجل بقاءهُ وتكيفه مع الحياة، وبذلك بدأت هذه المسيرة تتطور شيئاً فشيئاً فأخذت الحِرَف أشكالًا متنوعة تتماشى مع كل مرحلة من مراحل التطور البشري والحياة العامة، وبذلك صارت الحِرَف من ثوابت تراثنا العريق وكنز شعوبنا التي لايمكن أن تغيب عن ذاكرتنا ولو بشيء بسيط مهما مرت الحياة بأيامها وسنينها، وما شموخ الحاضر الذي نعيشه إِلَّا هو استلهام الماضي العريق وحكاية لهُ، كما ان الحِرَف اليدوية كانت ملازمة للإنسان وستبقى على الرغم من فقدان الكثير منها كنتيجة للتطور الصناعي الهائل الذي أفرزته الثورة الصناعية وكذلك أَسباب أُخرى سيتم ذكرها في فصول البحث آنفاً، حيث شمل هذا التطور بغياب الكثير من الحِرَف الذي لم يدع لها مجالاً إِلَّا ودخلهُ بل أَثَّر عليه تأثيراً مباشراً وقد غيّب عنا كثيراً من الحِرَف التي اندثرت مثل (حرف الكوازوالمسدي أَو الجومي) لكن مع كل ذلك هناك حرف لازال وجودها على الساحة العملية والتجارية (كالحدادة والنجارة). لقد تناولت الدراسة أربعة مباحث، الأول، احتوى على مشكلة البحث واهميته وأهدافه وكذلك أدوات البحث ومناهجه ثم المصطلحات والمفاهيم والدراسة السابقة أَمَّا المبحث الثاني فقد تحدثنا فيه عن بدايات الحِرَف وتطورها التاريخي، فيما تضمن المبحث الثالث قسمين أَمَّا الأَوَّل فقد شمل وصف سوق الموصل وسوق النبي يونس، ثم المكانة الاجتماعية للسوق، في حين احتوى القسم الثاني للمبحث المذكور عن غياب الحِرَف اليدوية (التقليدية) وأَسباب ذلك ثم إعطاء صورة واضحة عن المشاغل الحرفية نفسها والورش في مدينة الموصل وأَسواقها، اما المبحث الرابع، فقد تضمن أنواع من المهن وبداياتها والتدريب عليها والصناعات التي توفرت آنذاك ثم الخاتمة والتوصيات واخيراً المصادر والمراجع.

المبحث الأول

منهجية البحث وادواته

اولاً: مشكلة البحث:

من المؤكَّد أَنَّ الحرفة التي يمتهنها الفرد هي بالأساس ذات مردود اقتصادي يسعى العاملون فيها الحصول على اجر مادي ومال مناسب يكفل لهم ولأسرهم حياة زهيدة ومريحة ولكن قد يختلف هذا المردود المالي من مهنة إلى أُخرى تبعاً لطبيعتها، وأَنَّ أَغلب هذه الحِرَف تحتاج إلى مجهود منها مجهوداً عضلي وأُخرى إلى رأس مال، وبالتالي جمعيها تعبر عن أَصالة ذلك البلد وتاريخيه العميق، ضف إلى ذلك ان الحِرَف اليدوية بما انها متنوعة وكثيرة فهي تختلف حتى في البلد الواحد باختلاف المنطقة والرقعة الجغرافية وكذلك ثقافة المنطقة وموروثها المحلي ففي كل جزء من أجزاء هذا البلد تلاحظ ثقافة نوعية جديدة تختلف عن الأجزاء الأُخرى إِلَّا أنها بالتالي تعبر عن ثقافة مجتمع بأكمله فمثلاً في الجنوب من البلاد نرى وجود أشجار النخيل بوفرتها وأَنواعها تعتاش عليها كثير من الاسر القاطنة هناك فهي تمتهن الزراعة أي زراعة أشجار النخيل، وهي تمتلك ثقافة خاصة بها بعادات وتقاليد هؤلاء الاسر التي تعيش هناك بحسب الظروف البيئية والجغرافية هناك وهذا الأَمر قد لا نلاحظهُ في شمال البلاد فملاً وجود حجر (الصوان) والعمل به اختلفت الثقافة المحلية هنا كنتيجة لما موجود من مهن وحرف فرضتها عليهم طبيعة المنطقة وهذه أَيضًا تختلف عن وسط البلاد وما موجود فيه من مهن وحرف تختلف عن الاثنان الذين ذكرتهم وبحسب طبيعة المنطقة أَيضًا ولكن على الرغم من ذلك إِلَّا أَنَّنا قد نشاهد أَنَّ هذه الحِرَف والعمل بها بدأ بالتلاشي أَو بالفقدان الَّتي كانت متأصلة منذ زمن بعيد التي ورثها الأبناء من الإباء وذلك بسبب الاستيراد المنفلت اما ما يسمى بالاستيراد المفتوح علماً أن العراق هو من أول البلدان المصدرة للتمور إِلَّا انه الآن يستورد التمور فلو نقوم بمجرد جولة قصيرة في الأَسواق دون تعيين ترى أنواع التمور السعودية والاماراتية ...الخ الَّذي استأنس له أغلب الدول المجاورة القريبة والبعيدة وذلك بغياب الرقابة الحكومية أَو حتى الدعم الحكومي للحرفة والمهنة التي يمتهنها أبناء هذه البلد فترى أَسواقنا غارقة بالضائع المستوردة وبكل اشكالها ومسمياتها التي قد نقول أنها قضت على الإِنتاج المحلي بكل اشكاله، وهذا ما جعل أغلب أصحاب الحِرَف يتركون حرفهم والبحث عن بديل آخر لكسب لقمة العيش مما زاد معاناة لهذه الشريحة من المجتمع فترى ان البطالة ازدادت والفقر قد انتشر كنتيجة لاندثار وغياب هذه الحِرَف التي كانت تغطي الشيء الكثير من

المردودات المالية لهذه العوائل فصارت لدينا ازمة إذ صار دور القطاع الخاص في بلدنا ضعيف جداً، لذلك طغت الثقافة المادية الغربية على أسواقها بشكل واضح وهذا كله ذا تأثير على الحِرَف اليدوية التي يمتهنها ابناء هذه المدينة الَّتي غيبت بشكل كبير حتى على ثقافة الحِرَف اليدوية لدينا.

ثانياً: أَهميَّة البحث:

إنَّ موضوع البحث من المواضيع التي حظيت باهتمام العديد من الباحثين ذلك؛ لأَنَّها تعكس مواهب الآخرين وخبراتهم، كما انها تعبر عن طموح الفرد وابداعه في الإنتاج والعمل، وانها أَيضًا تعكس صورة الشخص الذي يثبت كفاءته واختصاصه في العمل الذي يقوم به اذ أن الحِرَف تعكس الصورة الثقافية للمجتمع؛ لأَنَّ هذه الحِرَف وما تنتجه من بضائع أَو خدمة وما إِلى ذلك قد تختلف من بلد إِلى آخر بل من مدينة إِلى أُخرى كما ذكرنا وذلك بحسب المنطقة، فمثلاً نجد حرفة ما موجودة في مدينة أَو منطقة ولا توجد في أُخرى وهذه بحد ذاتها تعد ثقافة مدينة مثلاً حرفة (الكلاك) صانع الزوارق تنتشر في المناطق الجنوبية وقد تسمى بأسماء اشخاص وتأخذ شهرتهم عقوداً من الزمن، لهذا السبب تعطي هذه الحرفة أَهميَّة كبيرة ودور واضح في اقتصاد البلد؛ لأَنَّ الحرفة التقليدية تعد من الصناعات الأولية للبلد وهو جزء قد يكون صغير من اقتصاد البلد إِلَّا أنه بالتالي هو داعم للاقتصاد، لذلك تعد هذه الدراسة (البحث) ذات أَهميَّة بما ذكرناه وبالتالي سوف تبان أَهميَّة البحث والدراسة لتكون دليل واضح للمسؤولين القائمين على هذا البلد لدعم الحِرَف وتشجيع الإِنتاج المحلي والتفكير بجدية لإعادة ما كانت عليه هذه الحِرَف للنهوض من جديد بالاقتصاد العراقي بصورة عامة ولمجتمع مدينة الموصل بصورة خاصة.

ثالثاً: اهداف البحث

1- وصف سوق الموصل، الَّذي شمل باب السراي، باب الجسر، وكذلك سوق النبي يونس.

2- تأثير الثقافة الغربية على الحِرَف اليدوية الشرقية ومعرفة وأَسباب غياب تلك الحرف.

رابعاً: أدوات البحث:

من المعروف إنَّ العلوم الاجتماعية تعتمد على كثير من أداة لجمع البيانات لتعطي صورة واضحة للظاهرة المدروسة بكل جوانبها، لذلك لابد للباحث ان يختار الوسائل والأَدوات اللازمة لجمع البيانات الخاصة بموضوع بحثه وفق شروط علمية دقيقة، وهناك مجموعة من الاعتبارات لابد للباحث ان يراعيها وفي مقدمتها ارتباط المناهج التي يستخدمها الباحث بالأَدوات المستخدمة الَّتي تشكل وحدة متكاملة ومترابطة، وكذلك خصائص مجتمع البحث (عينات البحث) ونوع العينة ونوع البيانات المطلوبة، فضلًا عن الإمكانيات المتاحة للباحث وهذا يعني استخدام الأداة المناسبة وفق الظروف والامكانيات المتاحة[1]، ووفقاً لذلك فقد اختار الباحث.

1- المقابلة.

2- الملاحظة

1) المقابلة: تعرف المقابلة على أَنَّها حوار لفظي موجه بين الباحث وشخص أَو مجموعة اشخاص اخرين بهدف الحصول على حقيقة أَو موقف معين، يسعى الباحث للتعرف عليه من أَجل تحقيق اهداف الدراسة[2].

كذلك تعد المقابلة استبياناً شفوياً لجمع البيانات وهي أداة من أدوات البحث العلمي يسعى الباحث للحصول على معلومات تغني البحث وتفيده بما هو مطلوب وقد قابل الباحث خمسة حرفيين وأوضح لهم هدف دراسته وما هو الغرض منها بتوجيه الأسئلة.

2) الملاحظة: تستخدم الملاحظة في جمع المعلومات والبيانات الخاصة بالبحث[1]، كما تعرف الملاحظة بأنَّها المشاهدة الدقيقة لظاهرة موضوع الدراسة[2]، ومن

---

(1) سليم بطرس الياس، دور المثقفين في بناء المجتمع المدني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صلاح الدين، أربيل، 2007، ص20.

(2) عزيز حنا داؤد وأنور حسين عبدالرحمن، مناهج البحث التربوي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، 1990، ص8.

مزايا الملاحظة أَنَّها تهيأ للباحث فرصة ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية وكما يحدث في مواقف الحياة الحقيقية، وقد لاحظ الباحث بوصفه عضواً في المجتمع الكثير من الظواهر والحقائق المتعلقة بموضوع الدراسة مستعملاً في ذلك إِدراكه وإِحساسه وكذلك أَنَّ الباحث قضى شطراً من حياته في سوق الموصل ولازال يرتبط به بحكم مهنة أُسرته ومعارفه فيه.

خامساً: منهج البحث:

المنهج هو طريقة البحث التي يستعملها الباحث في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها والاستفادة منها في الدراسة العلمية التي يزمع إِجراؤها [3]، وقد اعتمد الباحث على المنهج السوسيو انثروبولوجي والمنهج التاريخي.

1- المنهج السوسيو انثروبولوجي:

يتم الاعتماد على المنهج السوسيو انثروبولوجي الَّذي يقوم على النظر بطريقة كلية وشاملة إِلى تلك المراكز الاجتماعية المتمايزة التي يتوزع عليها الأشخاص في المناشط الاجتماعية المتنوعة[4]،بهدف تقديم صورة وصفية وتحليلية لإفصاح جماعة الحِرَف اليدوية مستخدمين المقابلات والملاحظات للتعمق في دراسة الظاهرة.

2- المنهج التاريخي:

(1) محمود السيد ابو النيل، الاحصاء النفسي الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، ط4، 1984، ص16

(2) احسان محمد الحسن، دراسة نظامية في تاريخ منهج علم الاجتماع الصرف، جامعة بغداد، العراق، 1975، ص30.

(3) احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدراسة العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص3-4.

(4) موفق ويسي محمود، وفائز محمد داؤد، حمالو سوق الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد (56) جامعة الموصل، العراق، 2010.

إنَّ الظواهر الاجتماعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع المجتمع في الماضي فلا بد من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة منذ بدايتها والوقوف على عوامل تغيرها من حال إلى حال آخر، إذ هناك علاقة سببية بين الماضي والحاضر من حيث أنماط الحياة السائدة والنظم الاجتماعية والمستوى الحضاري في كل حقبة من حقب التاريخ، ويعدُّ العالم ابن خلدون هو أوَّل من انتهج المنهج التاريخي في مقدمة القرن الرابع عشر، ثم الفيلسوف (جيوفاني فيكو)[1]، وقد استخدم المنهج التاريخي في بدايات الحِرَف في المجتمعات.

اولاً : المفاهيم:

1) الثقافة:

الثقافة في اللغة العربية (ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة، حذقه ورجل ثقف حاذق فهم بالاتباع، قالوا ثقف تعف، ويقال ثقف الشي وهو سرعة التعلم[2].

أمَّا الثقافة اصطلاحًا فأوَّل من عرَّفها هو (ادورد تايلور) عام 1871 إذ عرَّفها على أنَّها (ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أُخرى اكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع[3].

2) الحرفة:

المعنى الاصطلاحي: يشير إلى الاحتراف أو الاكتساب وفي الوقت ذاته تعبر عن وصول الإنسان إلى قمة عمله في الابداع والإنتاج والعمل المتميز الذي ينتج عنه شيء ملموس مثل حرفة الحائك والنجار الصائغ... الخ[4]، كذلك تعرف الحرفة على

(1) غريب محمود والسيد عبدالمعاطي، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص50.

(2) محمد محي عبدالحميد، ومحمد عبداللطيف السايس، المختار من صحاح اللغة العربية، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، 1934، ص63.

(3) اشلي مونتاكو، البدائية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1982، ص53.

(4) قيس النوري، الانثروبولوجيا الاقتصادية، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العالي، الموصل، العراق، 1982، ص50.

انها عمل يقوم به الحرفي لحسابه الخاص شرط ان يثبت كفاءته واختصاصه في ذلك العمل[1].

أَمَّا الحرفة التقليدية: فهي جميع الأنشطة التي يمارسها الحرفيون، ومختلف البضائع والخدمات المعروفة، ويمكن اعتبارها إِحدى أسس التجارة الداخلية والتبادل بين المدن فضلًا عن كونها إِحدى عناصر الجذب السياحي[2].

أَمَّا التعريف الاقتصادي للحرف: فهي الإِنتاج اليدوي الصغير القائم على ادوات عمل بسيطة وعلى عدم تقسيم العمل الممارس في المنشأة الحرفية[3].

التعريف الإِجرائي للحرفة: ان الحِرَف اليدوية هي كل نشاط يقوم به الفرد ويحتاج إِلى قوة عضلية ومهارة تقنية وكذلك اختيار الأَدوات المناسبة لكل عمل فهي عبارة عن مسار العامل الذي يعتمد فيه على استخدام المهارات المعرفية الخاصة بالحرفة والتخصص فيها طيلة حياته أَجل كسب العيش أَو حتى في بعض الاحيان تكون كهواية يعمل بها.

3) المهنة:

مجموعة النشاطات والفعاليات والواجبات التي يمارسها الفرد ويقدمها للمجتمع لقاء آجر أَو راتب معين، كما تعرف المهنة على أَنَّها الخدمة التي يقدمها الإِنسان للأخرين وبذلك فهي تختلف عن الحرفة إِذ إِنَّ المهنة لا ينتج عنها شيء ملموس فهي خاصة بتقديم خدمة ما مثل الطبيب والمعلم[4].

التعريف الاجرائي للمهنة: إِنَّها ظاهرة اجتماعية تبنى على أَساس اجتماعي؛ إِذ إِنَّ النشاط الذي يقوم به الفرد يكون من أَجل الربح وكذلك بالإمكان أَن يكون من أَجل مكانة اجتماعية كمهنة الطبيب الذي يقوم بخدمة المجتمع وبالتالي تؤدي له مكانة اجتماعية أَيضًا.

---

(1) بشير محمد علي، القاموس الاقتصادي، المؤسسة العربية للدراسات، 1985، ص38.

(2) عبدالمجيد أبو تراب، اسر المهن تاريخياً وحاضراً، دمشق، سورياً، ب.ت، ص13.

(3) المصدر نفسه، ص15.

(4) ميشيل دنكت، معجم الاجتماع، ترجمة حياة محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1980، ص77.

ثانياً: الدراسات السابقة:

نظراً لعدم حصول الباحث على دراسات عن الحرف، فقد اختار دراسة عن السوق بوصفه مكاناً لإنتاج وترويج الصناعات الحرفية، وهي:

(دراسة شفيق إبراهيم صالح بـــ " الأَسواق الشعبية في مدينة كركوك" اعتمدت هذه الدراسة على الوصف كونها كانت دراسة انثروبولوجية ركزت على الجوانب الثقافية ومحاولة تقصي ابعادها في علاقات السوق وتفاعله، خاصة وان مكان البحث كانت مدينة كركوك المتعددة الأعراق والثقافات، وقد استخدم الباحث عدة مناهج منها المنهج الانثروبولوجي والمنهج الانثروغرافي والعرض التاريخي فضلًا عن استخدامه الملاحظة بالمشاركة والمقابلات والمخزون كأدوات للبحث وقد توصل الباحث خلال دراسته إلى عدة استنتاجات منها:

1- تفاوت سلوك الباعة بثقافة المستهلكين.

2- إنَّ أَغلب الأَسواق الشعبية أظهرت انماطاً للتفاعل الاجتماعي – الاقتصادي – الثقافي.

3- عملت الوظيفة الاجتماعية للأَسواق الشعبية على عدم جعل حياتها الاقتصادية تكتسب طابعاً اقتصادياً حرفاً.

4- كانت الصناعات الحرفية في مدينة كركوك امتداداً للأصناف الإسلامية مما عزز قيمتها الذاتية لدى أبناء المدينة.

5- بعض الحِرَف وراثية لها اسرارها الفنية والمهنية وهي تمر بمراحل غير محدودة بمُدَّة زمنية وإِنَّما يتم الانتقال فيها من مرحلة إِلى أُخرى اعتماداً على مدى سرعة تقبل الحرفي لهذه العوامل.

6- العلاقات الحرفية امتازت بالضيق لأَسباب متعلقة بطبيعة عمل الحِرَف من ناحية وطبيعة المنتجات من ناحية أُخرى.

7- وأخيراً كشفت الدراسة عن وجود بعض الشبه ما بينها وبين دراستنا وخاصة فيما يتعلق بتداخل الحياة الاجتماعية بالسلوك الاقتصادي كون ان دراستنا

استخدمت المنهج السوسيو انثروبولوجي بهدف تقديم صورة حقيقية تحليلية لإفصاح جماعة الحِرَف اليدوية مستخدمين المقابلات ودراسة الحالة للتعمق في دراسة الظاهرة[1].

المبحث الثاني

بدايات الحِرَف وتطورها التاريخي

الإنسان صانع الآلة ومبتكرها وان ذلك يشير إلى قابليته على الصناعة مستخدمًا بذلك قدرته على التفكير وقابلية يديه على الصنع.

لا أحد يعرف على وجه التحديد متى بدأ الإنسان يصنع أدواته وآلته البسيطة من الحجارة وكان قبل ذلك يعتمد على اغصان الأشجار وعظام الحيوانات والأَحجار الطبيعية، لذلك فإنَّ الآلات الحجرية البسيطة هي اقدم الآلات التي صنعها الإنسان الَّتي ارتبطت بوجوده[2].

لقد اختار إنسان العصر الحجري بعض أنواع الحجارة التي يمكن تكسيرها بانتظام مثل حجر الصوان والزجاج البركاني والحجر الكلسي والصخور البركانية وهذه الأَحجار صلبة ولكنها سهلة التقشير وتظهر فيها حافة حادة كالشفرة[3].

ولما كانت الحرفة الأساسية لسكان العصر الحجري القديم والوسيط قائمة على الصيد وجمع النباتات البرية لذا اهتم الإنسان في ذلك العصر بصناعة الأَسلحة والأَدوات التي توفر له الحماية من الحيوانات البرية والمقدرة على صيدها، وكانت أَغلبية المواد تصنع من شظايا الصوان ومنها رأس السهم المسنن ورأس الرمح والسكينة والمنجل وكانت تثبت بالقير بمقابض خشبية فضلًا عن القاشطات والفؤوس اليدوية[4].

---

(1) شفيق إبراهيم صالح، الأسواق الشعبية في مدينة كركوك (دراسة انثروبولوجية) ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع، 1994.

(2) بارنزالمرهاوي، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبدالرحمن، القاهرة، مصر، 1984، ص25.

(3) تقي الدباغ، السلاح في عصور ما قبل التاريخ، بدون دار نشر، بغداد، العراق، 1988، ص18.

(4) وليد الجادر، التجمعات الزراعية الأولى، بدون دار نشر، بغداد، العراق، 1989، ص76.

وكانت هناك طريقتين لصناعة الآلات الحجرية منها الة النواة (الأدوات اللبية) وآلة الشظايا وقد استمرت صناعة هذه الآلات في العصر الحجري واتقنت صناعتها لتكون قوية وحادة، ومعروف ان العصر الحجري الحديث شهد اهتداء الإنسان للزراعة ورافق ذلك تدجين الحيوانات ولابد ان تحتاج الزراعة ويحتاج إلى الآلات والأدوات والاستخدام اليومي[1].

وهذا ما وفرته بيئة بلاد الرافدين لاسيما الطين كمادة أولية لبعض الصناعات اليدوية، إذ عمد الإنسان في ذلك العصر إلى بناء بيوته من الطين الطري[2]، ومنذ أواخر العصر الحجري الحديث تعلم الإنسان صناعة الفخار الَّتي كانت واحدة من اقدم الابتكارات التي توصل اليها الإنسان بعد استيطانه في القرى الزراعية شمال القطر وكانت هذه الصناعات تتطلب قدراً كبيراً من التفكير الصناعي فضلًا عن ذلك فان صناعة الفخار كانت تدريجية ومتطورة[3]، ففي عصور ما قبل التاريخ كانت الأواني تصنع باليد ولاسيما الاواني الكبيرة كجرار خزن الحبوب، كما عرف سكان وادي الرافدين صناعة الاختام ويعتقد ان أول ختم كان قد تطور عن التميمة[*]؛ اذ يمكن طبع صورة النقش بواسطة ضغطها على الطين الطري وبهذا تنتقل فوائد التميمة وقوتها الحامية إلى قطعة الطين ومن ثم يمكن الاحتفاظ بها[4].

وفضلًا عن استخدام الحجارة في عمل الأختام فقد استخدمت الحجارة في عمل كل من المنحوتات والمسلات والنصب وقد أطلق على صناعة هذه الأعمال الفنية مصطلح حرفة أو صناعة النحت؛ لأنَّ الفنان العراقي القديم لم يقم بأعماله الفنية بدافع

(1) ديفيد اوتيس، نشوء الحضارة، بدون دار نشر، ترجمة لطفي الخوري، بغداد، العراق، 1988، ص133.

(2) قحطان رشيد صالح، الكشاف الاثري في العراق، بغداد، العراق، 1987، ص76.

(3) طه باقر، تاريخ الحضارات القديمة، ط3، مطبعة جامعة بغداد، العراق، 1973، ص194.

(*) هو ما يعلق في العنق ويقصد به دفع العين (أي الحسد).

(4) تقي الدباغ، الفخار في عصر ما قبل التاريخ، دار المعرفة، بغداد، العراق، 1985، ص10.

رغبته الشخصية لذلك لا نراه يذكر اسمه على القطع الفنية التي كان ينتجها فهو اشبه بالنقار في الوقت الحاضر[1].

وعرف العراقيون القدماء المعادن على الرغم من افتقار بيئة بلاد الرافدين إلى المواد الأولية الضرورية الَّتي بشكل المواد الرئيسة للصناعات وقد وصلت صناعة المعادن في الالف الثالث (ق.م) ذروتها من حيث التقنية العالية؛ إذ كانت القطع المصنوعة على درجة كبيرة من الذوق الرفيع والدقة في الإنجاز[2].

وأوَّل المعادن هو النحاس وأثبتت التنقيبات الحديثة أَنَّ معدن النحاس كان معروفاً بصورة بدائية منذ مطلع الالف السادس (ق.م)[3].

وفضلًا عن حرفة صناعة المعادن هذه فقد عرف العراقيون القدماء، حرفة النسيج والحياكة وتشير الآثار المادية ولاسيَّما طبقات الحصير التي تركتها المنتوجات على الطين، إنَّ الغزل والنسيج كان معروفاً منذ العصر الحجري المعدني، ووفرت أَرض بلاد الرافدين الملائمة لرعي الحيوانات المادة الأولية لهذه الصناعة ومنها المصادر الحيوانية والمصادر النباتية فالأولى تتمثل بأصواف الأغنام وشعر الماعز، أَمَّا المصادر النباتية فتتمثل بالكتاب؛ إذ تشير الأدلة إلى ان زراعته في بلاد الرافدين ترجع إلى عصور قديمة ربما تتجاوز ثمانية آلف سنة[4]،.

أَمَّا حرفة النجارة فمعلوماتنا عن بداياتها قليلة نظراً لتلف الآثار والقطع المصنوعة من الخشب بتأثير المناخ وبالرغم من ذلك فقد أوردت النصوص المسمارية

(1) طه باقر، ملحمة كلكامش، مطبعة جامعة بغداد، العراق، 1986، ص27.

(2) بهيجة خليل، المستعمرات التجارية الاشورية في الأناضول، مجلة التنمية والنفط، العدد السابع، 1981، ص50.

(3) مارتن ليفي، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة: فياض المياهي وآخرون، بغداد، العراق، 1986، ص261.

(4) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، بغداد، العراق، 1985، ص123.

انواعاً من الاخشاب التي كانت متوفرة في بلاد الرافدين ومنها أشجار التين والصفصاف والصنوبر فضلًا عن أشجار النخيل[1].

ويعود تحديد المركز الاجتماعي للحرفيين إلى الحاجة المطلوبة على المادة المصنوعة فكلما كانت فائدتها اكثر كلما تمتع أصحاب الحِرَف بمكانة اكبر[2].

أَمَّا بدايات الحرفة عالميًا فإنَّ أَوَّل نظام صناعي عرف المجتمع هو نظام الطوائف الحرفية الذي كان سائداً في منطقة المشرق العربي والقارة الاوربية خلال القرون الوسطى، ويقضي هذا النظام تصنيف الحِرَف إلى اقسام مختلفة تبعاً لطبيعة السلعة التي تتخصص بإنتاجها، وكل جماعة حرفية من العمال تمارس إنتاج سلعة معينة تقع ضمن اختصاصها الوظيفي وتتمتع بمزايا ممارسة الحرفة واحتكارها لصالحها، وكان هذا العمل الحرفي يمارس في دكاكين أَو ورش عمل خاصة، أَمَّا القوة المحركة للعمل الحرفي فقد كانت القوى اليدوية[3].

إنَّ نظام الطوائف الحرفي شاع وانتشر في أُوروبا ووصل أَوج عظمته في القرن الثالث عشر الميلادي عندما سيطر على جميع فروع الصناعة آنذاك، واستمر هذا النظام بالعمل والفعالية حتى القرن السادس عشر إذ انقرض بعد هذه المُدَّة وآثاره لا تزال باقية في الكثير من الصناعات اليدوية، وتعني الطائفة الحرفية منظمة عالمية تمارس حرفة معينة، كالحدادة والنجارة والغزل والحياكة والصياغة ... الخ، وتكون ممارسة المهنة تحت اشراف ورقابة الطائفة، وتشمل الطائفة الحرفية جميع أعضاء ومنتسبي الحرفة (أصحاب العمل والمستخدمين) ويمكن معرفة البناء الاجتماعي لنظام الطوائف الحرفية من العلاقة بين طبقاته الثلاثة وهي طبقة الاسياد أَو المعلمين وطبقة الصناع وطبقة الصبيان[4]، فالأسياد أَو المعلمون هم المسيطرون والمديرون للنظام، فهم مالكون العمل ومستخدمو الصناع ولهم الخبرة والمهارة التي تفوق الجميع، أَمَّا الصبي أَو الصانع المتعلم فهو عامل شاب بتعهد بخدمة معلمه لمُدَّة من (3-7)

(1)وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية ، ص66.

(2) صالح حسين الدويج، العبيد في العراق، ب، ن، بغداد، العراق، 1976، ص186.

(3) احسان محمد الحسن، علم الاجتماع الصناعي، مطبعة بغداد، العراق، 1986، ص41.

(4) المصدر نفسه، ص42.

سنوات، والعلاقة بين الصبي والمعلم تنطوي على حقوق وواجبات يلتزم بها الطرفين، فالسيد يتعهد بتسهيل الأمور للصبي باكتساب المهارات، ويزيد الصبي بتسهيلات كالسكن المجاني، وقد يزوده بالثقافة المدرسية ويمنحه أجراً، وللسيد حق ضبط سلوك واخلاق الصبي فهم كالأب والابن، ويتعهد الصبي باحترام سيدهُ وعدم جلب الضرر اليه والحفاظ على اسراره وأحياناً لا يتزوج الصبي دون موافقة سيده، ومن حق الصبي ترك سيده عند شعوره بعد ايفاءه بالتزاماته تجاهه[1].

أَمَّا الصانع أَو العامل فهو الصبي بعد انتهاء فترة التدريب والتأهيل بحيث يصبح مؤهلاً على ممارسة المهنة لقاء اجر أَو راتب معين، وهدف الصانع هو احتلال موقع سيده بعد هرمه وشيخوخته أَو موته أَو قيام الصانع بفتح مشروعه الحرفي الخاص به[2].

وتحد الطائفة الحرفية طبيعة علاقات الإِنتاج الرسمية ويجتمع أعضاؤها مرة واحدة في السنة ويقسم العمل في نظام الطوائف الحرفية بموجب طبيعة السلعة المنتجة وليس بمراحل الإِنتاج، أي أنه يشرف على إِنتاج السلع ولا يهتم بعمليات الإِنتاج، والحرفيون لم يتخصصوا في عمليات إِنتاجية معينة كالغزل والصياغة والحياكة، وان تكنولوجيا العمل لم تعتمد الأَدوات اليدوية للإِنتاج بل اعتمدوا أدوات بسيطة تشغل باليد، لذا فالعمل غير متخصص وغير دقيق ويبتعد عن ترشيد الإِنتاج.

إِنَّ سمعة ومنزلة الحرفة تمتدان بطبيعة ونوعية العمل المنتج ومدى الالتزام بقوانين ونظم الحرفة وبالمركز الوظيفي الذي يحيله الصائغ في المنظمة الحرفية، فضلًا عن أنماط علاقات العمل كعلاقات السلطة بالصانع فإنها تعتمد بصورة مباشرة على البناء الاجتماعي للطائفة الحرفية، وصناع الحرفة ليسوا غرباء عن بعضهم، بل هم أعضاء دائمون في المنظمة الحرفية، وغالباً ما يعيشون في منطقة سكنية معينة[3]،

(1) احسان محمد الحسن، علم الاجتماع الصناعي، ص43.

(2) المصدر نفسه، ص45.

(3) احسان محمد علي، علم الاجتماع الصناعي، مصدر سابق، ص47.

وفي مطلع القرن السادس عشر بدت مظاهر الضعف والانهيار على نظام الطوائف الحرفية ولاسيَّما بعد ظهور عصر التحضر والتصنيع.

أَمَّا المرحلة الثاني منذ ظهر نظام الصناعات المنزلية؛ إذ ظهر هذا النظام في الأرياف وجلب الكثير من الفلاحين اليه، ويسمى بنظام الوسطاء أَيضًا، وظهر النظام في القرن الثالث عشر واستعمل لأول مرة في الصناعات الصوفية الإنكليزية، وقد تطور هذا النظام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر[1].

وفي نظام الإنتاج المنزلي يمتلك العامل ادواته الإنتاجية التي تتميز بالبساطة ورخص الثمن، وأحياناً ما يزود التاجر الرأسمالي العامل بمعداته الإنتاجية، وكان رب العمل (التاجر) يزود العامل بالمواد الأولية الداخلة في الإنتاج وكان يمتلك البضاعة ويتصرف بها، وكانت الشرائح الاجتماعية هي شريحة العمال وعوائلهم وشريحة أَرباب العمل (التجار) والعامل يتقاضى اجوره من رب العمل كأن يحصل على البضاعة المنتجة من العمل، وبمرور الزمن اتجه العمال إلى ايجار المكائن وتشغيلها من أَرباب العمل وقد تحرر العمال من قيود نظام المصنع وتشريعات العمل لكن معظم الحالات كان العمل ينجز في بيت العامل وكان الإنتاج جزءاً من وظائف العائلة[2]، ان علاقات العمل في النظام الإنتاجي شبيهة بعلاقات العمل في العائلة الفلاحية، وتتميز علاقات الإنتاج في هذا النظام بالكثير من السلبيات والمعوقات من وجهة نظر رب العمل ومن هذه السلبيات والمعوقات ما يلي:

1- توزع العمال على مساحات واسعة كبيرة لا يمكن الاشراف عليها وإدارة شؤونها بسهولة.

2- عدم حرص العمال على أداء العمل وكانوا يتلقون المواد الأولية ولا يتميز إنتاجهم بالجودة والنوعية العالية.

(1) المصدر نفسه، ص49.

(2) احسان محمد علي، علم الاجتماع الصناعي، مصدر سابق، ص47.

3- لا يعتمد هذا النظام الإنتاجي على نظام تقسيم العمل ولا يؤمن بإدخال المكائن الحديثة في الإنتاج، لذا كان من المستحيل على رب العمل أن يقلص تكاليف الإنتاج أو زيادة كمية الإنتاج، وقد ظهر في هذه المرحلة نظام المصنع الذي حاول فيه رب العمل السيطرة على إدارة وتنظيم الإنتاج بوسائل عديدة أبرزها:

أ- الفصل بين مكان العمل ومكان السكن.

ب- اهتمامه بوضع العمل في مكان مركزي وتحت سقف واحد.

ت- تدخل رب العمل في إعادة تنظيم ورش العمل القديمة التي كان يريدها الحرفيون تحت نظام الطوائف.

كما ان النظام الجديد من الورش الإنتاجية يطلق عليه اسم المصنع، وهو ورشة صناعية تستخدم العامل وتستثمر رأس المال الثابت، والماكنة هي التي تحول الورشة إلى مصنع بواسطة القوة التي تستخدمها وتعمل فيها على نظام التخصص في العمل[1].

المبحث الثالث

سوق الموصل ومكانته الاجتماعية

اولاً: وصف السوق :

تعد مدينة الموصل مركزاً تجارياً لبضائع الشرق والغرب وصناعاتهم وتحفهم ، وكان هذا من العوامل التي أثَّرت على الصناعات والمهن والفنون الموصلية، فاقتبسوا منها ما يلائم عاداتهم وفنونهم، وبذلك عدت الموصل قبلة لأرباب الصناعات والمهن والفنون يرحلون اليها ويأخذون عن اساتذتها الذي ابدعوا في عملهم وجمال زخارفهم وحسن الاتقان وكانوا يصدرون منتجاتهم إلى ايران والهند شرقا والى بلاد الشام غربا ومنها إلى اوروبا ومصر وكذلك جنوب العراق[2].

---

(1) المصدر نفسه، ص53.

(2)سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، الجزء الاول ، مطبوعات المجتمع العلمي ، بغداد ، العراق ، 1982 ، ص402 .

ويمكن أن ينعكس هذا التنوع في المهن والصناعات بكبر السوق في مدينة الموصل، لذا سوف نقوم بوصف السوق ومكوناته، لكون دراستنا عن الحِرَف هي من داخل السوق، إذ يتكون سوق الموصل من عدد من الدكاكين والمحلات الَّتي تكون شبكة ذات ارتباطات قوية ورصينة بعضها مع بعضهم الآخر بين الأزقة الضيقة وعلى مساحات واسعة من مركز مدينة الموصل القديمة .

وهذه الأَزقة معروفة لدى ابنائها بأسماء محددة تفصل كل منها عن الاخر تخصيصا وان استمرت تجاورها المكاني، وبعض هذه الاسماء ذات علاقة بالبضائع المتداولة في السوق ويسمى لدى الناس سوقا فهناك مثلا سوق الصفارين وسوق التنكجية وسوق الفرفوري وسوق الأَحذية وسوق تخصص حديثًا عن المهن والحرف اليدوية على اصحاب المهن التالية: صانعي الاحذية (القوندرجي) وكذلك الخياط (خياطي الملابس الجاهزة) .

إنَّ سوق الموصل من الأَسواق القديمة والكثير من اصحاب المحلات والمهن ورثوها عن ابائهم واستمروا بالعمل فيها إذ اننا نجد عشرات المحلات المتجاورة يعمل فيها أَشخاص عمل آباؤهم فيها متجاورين لعقود طويلة من الزمن ونخص منهم سوق (القوندرجية) في باب السراي؛ إذ كانوا صناع الاحذية متجاورين مع بعضهم وبسبب الجيرة الممتدة زمانيا وبسبب التعامل اليومي بين من يعملون في هذه المهن نشأت واستمرت علاقات اجتماعية قائمة على المعرفة الشخصية[1].

ولأَنَّ غالبية العاملين فيها ذوي مستوى اقتصادي واجتماعي متقارب وأن هذه العلاقات توثقت وامتدت إلى الأبناء الذين حلوا محل ابائهم ويمكن ان نوضح هذا النمط الشخصي من العلاقات في الاحاديث المتبادلة وفي التزاور بين عائلات هؤلاء الاشخاص بعضهم بعضًا الاخر حتى في علاقات الزواج والمصاهرة وفي الاستفسار عن الأَهل والسؤال عن أَفراد عائلة الجار في السوق وفي معرفتهم التفصيلية لحياة بعضهم البعض، فالسوق ليس فقط مكان للعمل والتجارة أَي كجانب اقتصادي لا وإِنَّما

(1)موفق ويسي محمود وفائز محمد داؤد ، حمالو سوق الموصل ، مجلة آداب الرافدين ، العدد (56) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2010 ، ص361 .

هو مجتمع من الناس يتفاعلون فيما بينهم وتنشأ بينهم علاقات اجتماعية وقد يكون لهذه العلاقات تأثير على اقتصاد السوق وهو أَمر غفله باستمرار الباحثون الاقتصاديون من حيث ان المنظور الثقافي الذي يعتمده الانثربولوجيين للسلوك الاقتصادي يضيف بعدا غير اقتصادي للواقع الاقتصادي[1].

وهكذا يمكن النظر إِلى السوق نظرة اجتماعية وانثربولوجية فأصحاب المحلات والمهن والحرف والتجار والعاملين جميعا هم مجتمع السوق ولكن هذا المجتمع لا تنقصه الاختلافات الاقتصادية والاجتماعية فبينهم تجار وباعة مفرد واصحاب مهن وبعضهم يملكون محلات والاخرين يستأجرونها وفيهم من يعمل لدى الغير كما وفيهم الاستاذ أَو الاسطى ومنهم العامل أَو الصانع وبعضهم يستعين بأولاده في عمله أَو اقاربه كما هناك حالات كثيرة بقي فيها العامل يعمل لدى نفس الشخص لمدة طويلة حتى ارتبط اسمه باسم (استاذه) كل هذا له ملامح اجتماعية يعرفها ابناء السوق في اساليب المخاطبة والنداء ، كما تعد المعرفة الشخصية هي من اقدم العمل في السوق بالنسبة للشخص أَو من استمرار العمل في السوق جيلا بعد جيل بالنسبة لعائلة ولعل المعرفة الشخصية هذه هي من أَبرز مؤشرات التعاملات لأَنَّ سمعة الشخص وسمعة عائلته هي في الغالب أَبرز من ربح الصفقة أَو خسارتها وهذا أَمر آخر يعمق الصلة الاجتماعية بالجانب الاقتصادي ولاسيَّما عند اصحاب المهن في ادائهم لمهنتهم فالمعارف والخبرات والمهارات التقنية والعملية لا تكفي لتنظيم السلوك المهني المقبول اجتماعيًا بل لابد من اعتماد هذا السلوك على المعايير والآداب الاجتماعية المخصصة لهذه المهن[2].

وفيما يلي دراسة قد قام بها الباحث مع مجموعة من الحرفيين الممتهنين لكثير من الحِرَف في سوق الموصل وكما مدون ادناه:

1. السيد ابو عمار : يعمل نجار موبيليا يبلغ من العمر خمسة وخمسون سنة يعمل نجارًا منذ الصغر؛ إِذ أَنهى مدرسته الابتدائية فقط وترك المدرسة واتجه

(1)قيس النوري، الأنثروبولوجيا الثقافية ، مصدر سابق ، ص15 .

(2)المصدر نفسه، ص19.

إلى عمل النجارة وكان يعمل لدى شخص نجار إلى ان تعلم الحرفة بشكل جيد واستطاع ان يفتح له محل موبيليا ولازال يعمل في المهنة وأنَّ ولده الوحيد يعمل معه حاليا وقد بلغ من العمر ثلاثة وعشرون سنة وبدأ يمتهن عمل والده بشكل جيد أيضًا .

2. السيد خليل ابو بلال : صانع أحذية نسائية (قوندرجي) يبلغ من العمر اثنان وخمسون سنة متزوج ولديه ثلاثة أولاد (ابنتان وولد) وان ولده هذا قد درس وتخرج من معهد الادارة ولا زال يعمل مع والده في هذه المهنة ولديهم معمل صغير في سوق الصغير – شارع النجفي .
3. السيد محمد نذير الصفار : يبلغ من العمر سبعة واربعون سنة وهو متزوج ولديه أولاد أكبرهم يبلغ من العمر ستة عشر سنة وهو يساعد والده في المحل وقد تعلم الحرفة علمًا أنَّ والده قد ورث الحرفة عن ابيه ويروي أنَّه كان لديهم معمل فافون في منطقة الصناعة القديمة إلَّا انهم قد اغلقوه بسبب قلة الفافون والصفر واتجه أغلب الناس نحو شراء المستورد من الحاجيات بسبب الوضع الاقتصادي الذي يمر به بلدنا ومنذ زمن مضى .
4. السيد مروان بشير ابراهيم : يعمل خياط في منطقة السرجخانة لخياطة الملابس النسائية وعمره ثلاثون سنة أخذ المهنة عن والده الذي اقعده المرض ويروي لنا أنَّ الأمور الحالية ازدادت سوءًا بالعمل بسبب المستورد من الدول المجاورة وكذلك الصين ويذكر انهم كانوا يفتتحون معملهم صباحًا وفي كثير من الأحيان يغلقون المحل دون مراجعة أحد رواد المحل بسبب الوضع الاقتصادي وبالتالي قاموا بغلق المعمل واتجه الان إلى خياطة الجوادر في منطقة الفيصلية .

5. السيد عمر الراوي : يعمل في مهنة الصوف (نداف) فهو لديه محل ويبلغ من العمر خمسون سنة وقد ورث المهنة عن ابيه منذ الصغر وكان قد ترك المدرسة وهو في مرحلة الابتدائية بسبب الوضع المعاشي الصعب واتجه يساعد والده فهو اخ لأربعة اخوة اثنان يعملون مع والده في مهنة الصوف فيقول كان موسم الصوف موسم جيد؛ إذ كنا نذهب إلى الجزيرة لنشتري الصوف من أَصحاب الماشية ثم نأتي به ونقوم بعزل الصوف الأَسود عن الأَبيض وهذا كان يباع بسعر يختلف عن الابيض ولا زال يعمل في هذه المهنة إلَّا أَنَّه يذكر أَيضًا أَنَّ العمل صار بها ضعيفا بسبب المستورد الذي يدخل على القطر .

ثانيا : المكانة الاجتماعية للسوق :

لقد اولى علماء الاجتماع أَهميَّة واضحة لتحديد المكانية الاجتماعية للمهن في المجتمعات المختلفة لما لذلك من أَثر واضح في مسالة التقدم الاجتماعي والتخطيط له من صانعي القرار في الدولة .

إذ ان المهنة التي يمارسها الفرد أَهميَّة كبيرة وواضحة بالنسبة له وللمجتمع على حد سواء، فهي بالنسبة للفرد وسيلة لخدمة الاخرين تنعكس ذاتيًا لتصير وسيلة لخدمة ذاته وشعوره أَمام نفسه كونه شخص له قيمة (مكانة) بين جماعته (مجتمعه)، إذ ان تقدير الشخص لنفسه يرجع إلى حد كبير إلى تقدير من حوله له؛ إذ يقال ان المهنة ستبقى مصدرا مهما يحقق فيه الإنسان ذاته ويضفي على وجوده الإنساني معنى، فهي (المهنة) ، وما يحيط بها من القاب ورموز هي التي تحدد موقع الفرد على سلم التدرج الاجتماعي.

ومن المعروف أَنَّ عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية تؤثر في المهنة نموا وذيولا ، فهي ظاهرة اجتماعية لها مكوناتها التي تتأثر حسب الظروف فالمهنة تعدمن أَبرز العوامل في تحديد بناء المكانة في المجتمع وفي الصناعة، فكثيرًا ما تقاس مكانة الأَفراد والجماعات في المجتمع العربي التقليدي باستقلالية المنصب الذي

يشغلونه ، هل يعمل لحسابه أَو لحساب غيره؟ هل يخدم ام يستخدم؟ ولا شك ان تباين الدخول واختلاف الناس من حيث درجاتهم العلمية والتعليمية ومن حيث الأَعمال والمهن التي يمتهنوها وحجم السلطة التي يمارسونها على الاخرين تؤدي إِلى التباين الطبقي، في حين تمت الاشارة من العلماء إِلى أَنَّه شاع في العصور الوسطى مفهوم الحرفة أَو الصنعة، وتعني عملاً يتعلمه الناس ويتناقلونه بأسلوب التلمذة الصناعية سواء في مجال الأُسرة التي تختص بعمل متوارث في مجال الرابطة الحرفية التي اهتمت بتنظيم العمل واتقاناته، إذ أَسهم المجتمع الحديث إِسهامًا مباشرًا في تغيير الأُسرة بوسائل شتى منها (قبول فكرة الاشتغال في شتى المهن)، والتصنيع ادخل إِلى البلدان النامية مهارات وخبرات تقنية كثيرة ومتنوعة زادت من قدرات الطبقة الحرفية والمهنية وهذبت الموجود منها[1].

وفي الوقت نفسه تعرضت قيم هذه المجتمعات وأيدولوجيتها أَمام ضغوط المصنع المتزايدة إِلى تغيير مستمر.

إِنَّ شخصية الفرد وذاته وعقله تتكون ضمن العائلة وثقافة المجتمع وتنتقل إِلى الفرد بالعائلة، والمؤسسات الاجتماعية يتصل بعضها ببعض في إِطار المجتمع اتصالًا عضويا والعائلة هي التي تهيء الفرد للعمل في المجتمع، إِلَّا ان هناك مقومات توضح أَنَّ الإِنسان يميل إِلى تجاهل روابط القرابة عندما يشعر أَنَّه يؤدي عمله بصورة أَفضل من دون الاستعانة بهم[2].

كما يرى علماء الاجتماع أَنَّ الجماعة وخاصة (الأُسرة) وليس الفرد هي التي تشكل النواة أَو الوحدة الاجتماعية في القيم السائدة في المجتمع العربي هي قيم جماعية اكثر منها فردية ، من هنا فالمكانات الاجتماعية يمارس بها الفرد دوره الاجتماعي، ويشير مفهوم المكانة إِلى وضع شاغل الدور في البناء الاجتماعي وفي سلم التدرج الاجتماعي، كما اظهرت دراسة قام بها العالم ليمان أَنَّ نسبة عالية من

(1)احمد عبدالخالق واخرون ، الطبقة الاجتماعية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد (29) ، العدد (3) جامعة الكويت، الكويت ، 2001 ، ص121 .

(2)المصدر نفسه ، ص123.

المشتركين في الدراسة واللذين ينتمون إلى طبقات اجتماعية عليا ذكرت ان أبرز ما في العمل هو ان يتناسب مع مستوياتهم الاجتماعية.

من الواضح ان المهن تختلف فيما بينها ، وتاريخ اي مهنة يعكس نظرة المجتمع لها، إذ ان اعتراف المجتمع بأهميَّة مهنة ما تأتي من درجة احترامه للأفراد المشتغلين بها ففي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا لا يوجد تأثير للمعايير الاخلاقية في المكانة الاجتماعية للحرف دائما التركيز يكون على المردود الاقتصادي لها[1].

ان النظرة الاجتماعية لأي مهنة قد تتغير مع تطورات الحياة وحاجات المجتمع لها، فالكثير من المهن فقدت بريقها ومكانتها الاجتماعية وغيرها من المهن ظهرت مكانتها في الوقت الحاضر، مثلا ظهرت في مدينة الموصل سابقا العديد من المهن الحرة والحرف اليدوية والصناعات الشعبية التي اختص بها الرجال والنساء، الَّتي نلاحظ بانها صارت نادرة جدا في وقتنا الحاضر ومن هذه المهن:

الصرافين: كان يتم التبادل التجاري في الموصل إلى وقت قريب عن طريق المقايضة اي مبادلة السلع بالسلع على المستوى العام إلَّا انها لم تعد تفي بالغرض وبحاجات المجتمع الذي جاوز تلك المرحلة ، وظهرت الحاجة إلى واسطة تتمتع بقبول عام فكانت النقود التي دخلت مراحل تطور مختلفة وبمعادلات ما بين قيمتها التجارية والنقدية .

اما المهن والحرف النسائية فمنها ما يلي:

1. الاستادي–ويراد بها (الأستاذة) التي تتعلم عندها البنت نوع من العمل كالخياطة أَو النقش أَو التطريز أَو الغزل ، تقوم بتوزيع الأَدوار بالشكل الذي يناسب قابليات واعمار البنات فالبنت منذ صغرها تتعلم أَعمال البيت لتؤهلها ان تكن (ام البيت) في المستقبل.

(1)احمد عبد الخالق واخرون ، الطبقة الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص126 .

2. المرضع (الداية): عرفت المرأة الموصلية مهنة المرضع الَّتي كانت تتولى بعض النساء ارضاع الاطفال الذين ليس لأمهاتهم حليب بسبب المرض أَو الحمل الجديد [1].

إِنَّ الشعور الذاتي لدى الفرد صاحب المهنة بانخفاض مكانته الاجتماعية يؤدي إِلى احساسه بالظلم، وهذا بدوره سيؤثر في كيفية ادائه ونوعيته، وقد تؤدي إِلى العزلة الاجتماعية، ولاسيَّما إِذا عرفنا ان المجتمع العربي ما زال ينظر إِلى المكانة الاجتماعية على انها مستمدة من الأُسرة (النسب)،ومن الثروة أَيضًا على عكس المجتمعات المتقدمة إِذ تستمد المكانة من العمل وحده.

ولأَهميَّة المكانة الاجتماعية من المهن فقد اجريت الكثير من الدراسات التي تناولت موضوع المهن والمكانة الاجتماعية للأفراد بناء على مهنتهم وعوامل أُخرى، ومن هذه الدراسات دراسة هاشم الطويل وعباس التوايهة في المجتمع الاردني فقد اوضحت هذه الدراسة اعلى مهن لها مكانة اجتماعية لدى الأَفراد هي: (مهندس كمبيوتر – طبيب – استاذ جامعي – مدير مصنع – محافظ) كما اوضحت هذه الدراسة ادنى مهن مكانة اجتماعية لدى افراد العينة وهي (ماسح احذية – جامع قمامة – مطرب – راع – جرسون – حارس – موسيقار) [2].

لقد احتل الحرفيون والصناع مكانة مهمة في بلاد آشور وجاءت مكانتهم الاجتماعية من خدماتهم ، في تلبية احتياجات الناس من السلع الضرورية واحيانا الكمالية ، فما كان متوفرا في بيئتهم من مواد اولية وما كان يجلب من البلدان المجاورة عن طريق التجارة .

وتبدو المكانة الاجتماعية للحرفيين والصناع متميزة وذلك بما ذكر في اسطورة الطوفان عندما تحدث بطل الطوفان اوتوناشم عن سيفه وركابهم الذين انقذهم فكان من

(1)سعيد الديوه جي، صناعات النساء في الموصل ، موسوعة الموصل التراثية ، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، العراق ، 2008 ، ص255 .

(2)احمد عبدالخالق واخرون ، الطبقة الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص125 .

ركابها الصناع والحرفيون، اذ كانت حاجت المجتمع اليهم كبيرة في توفير احتياجات الإنسان من الطعام والكساء والمأوى[1].

المبحث الرابع

غياب الحِرَف التقليدية

أولا : أَسباب غياب الحِرَف :

1-الأَسباب الاقتصادية متمثلة بإغراق السوق بالسلع المستوردة :

ان الحديث عن الحرفة أَو المهنة في بلد ما هي دليل ملموس ومادي على اصالة ذلك البلد وعمق جذوره الحضارية، وعبر عصور مختلفة ازدهرت الصناعات الحرفية وتوارثها الاجيال عن ابائهم ، لكن ظهور السلع الصناعية البديلة والمستوردة في السوق العراقية بعد الطفرة الصناعية أدى إلى انقراض بعض الحِرَف اليدوية في العراق ومنها مدينة الموصل في حين ليست العديد من الاسر الحرفية تحافظ على مهنتها تحت ضغط الحاجة ولتأمين مصادرها ودخلها للعيش بأمان، ولكن بعد عام (2003) بدأت أَسواقنا تشهد فوضى تجارية للإغراق السلعي الغير مدروس وغير المسيطر عليه إذ بدأت تتدفق البضائع والسلع من أغلب المنافذ الحدودية للبلد ومن مختلف دول العالم والكثير من السلع الواردة ذات مستوى متدني، كما ترد إلى الأَسواق منتجات اجنبية بماركات مجهولة[2].

كما ان السلع المستوردة بصورة كبيرة ادت إلى اضمحلال الورش اليدوية وصارت هذه السلع منافسة للمنتوجات الوطنية بشكل كبير مما حذى بالكثير من اصحاب الورش والمعامل الصغيرة إلى غلق ورشهم ومعاملهم علما ان هذه السلع المستوردة اغلبها رديئة الصنع ولا يمكن ان تنافس المنتوجات الوطنية إلَّا ان رخص أَسعارها جعل من المنتوجات الوطنية أن تغيب عن الأَسواق؛ لأَنَّ كلفتها باهظة الثمن

(1)صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : يوسف داؤود عبدالقادر ، العراق ، 1986 ، ص39 .

(2)عباس كاظم، ظاهرة الاغراق السلعي واثرها على الاقتصاد العراقي ، www.islamon-linenet.bakdad,8/9/2003.

قياسًا بالسلع المستوردة، وإنَّ ظاهرة إغراق السوق بالسلع المستوردة بدأ تضر بشكل واضح الاقتصاد الوطني والإنتاج المحلي إذ تقضي على التنافس بين السلع المحلية والأَجنبيَّة مما يؤدي إلى تراجع إنتاجنا وسيطرة البضائع الأَجنبيَّة، وهذا ما حول مصانعنا ومعاملنا حتى الحكومية منها والاهلية إلى مجرد مخازن لتخزين البضائع المستوردة هذه حقيقة تحتاج إلى وقفة جدية من الجهات المعنية والمسؤولة، لقد صار العراق سوقا لتصريف السلع والبضائع الأَجنبيَّة وان اغراقه بالسلع قد اثر وبشكل كبير على اضعاف الاقتصاد العراقي كما ان الحفاظ على تراثها بدأ يتناقص قياسا مع التقدم والتطور بل ان الامم الواعية هي التي تحافظ على موروثاتها ومكتسباتها ولا تفرط بها بأي حال من الأَحوال[1] اي ان سبب تدهور الإنتاج المحلي وعدم الاقبال عليه ناتج عن سياسة فتح باب الاستيراد على مصراعيه، كذلك نرى ان المهن والحرف من الجانب الثقافي لها دور كبير في تشكيل جزء هام وتاريخ عريق لدى مختلف الشعوب والحضارات والاهتمام بها ورعايتها وجاب انساني ووطني[2].

والمسؤولية تقع على عاتق المسؤولين في هذا الجانب للحفاظ على الارث الحضاري والثقافي والاهتمام به فليس من المعقول ان كل ما يقدمه الآباء للأَبناء يذهب بدون فائدة كون إنَّ إبراز الهوية الهرمية في كثير من الأَحيان يأتي بالحرف والمهن المختلفة التي يزاولها الآباء والأَجداد في ظل سيطرة قوية من وسائل الإعلام الأَجنبيَّة التي استطاعت ان تضيع مستقبل الحِرَف والمهن المحلية[3].

2- الإنتاج الرديء :

ان الذي يحدث سببه الانتقال الحرفي للعمل الَّذي يعني تغير طرأ على المهنة التي يزاولها العامل ، فالعامل يترك مهنته الاولى ويذهب إلى مهنة ثانية بعد التدريب

---

(1)صبحي حداد ، الحرف اليدوية العراقية ضحية الاحتلال ، اسلام : ومن النت www.islamon:line-8/9/2003.

(2)محمد نصر الله ، الحرف اليدوية الشعبية ، ستار تايمز، 2009. www.startimes.com.2009 تاريخ الزيارة 2022/9/16 .

(3)فائز محمد داود ومنى شاكر محمد ، الحرف اليدوية في مواجهة السلع المستوردة ، مجلة اداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد 52 ، 2012.

على فنونها واساليب وأسسها علما ان المهنة الثانية التي يمارسها العامل تختلف كل الاختلاف عن المهنة الاولى بطبيعتها ومتطلباتها واهميتها الإنتاجية وبسبب ترك العامل لمهنته الاساسية وتوجهه إلى مهنة أُخرى يرجع إلى الهبوط الذي حدث في مهنة العامل وقلة الطلب عليها وقلة الاجور التي يتقاضاها العامل فيه؛ لذا اضطر العامل للتفتيش عن مهنة أُخرى تدر عليه الاموال وتلبي قناعته النفسية والمعنوية فيتدرب عليها ويتقن فنونها ويؤديها اصلا في كسب رزقه منها وضمانه من البطالة التي قد يتعرض لها فيما اذا استمر في ممارسة مهنته الاولى.

وقد يؤدي انتقال العامل من مهنة لأُخرى إلى رداءة إنتاجه المحلي وبالتالي عدم الاقبال على السلع المحلية .

3- التفاوت في الأَجر :

تظم الحرفة الواحدة عادة انواعا مختلفة من العاملين المتخصصين في انماط مختلفة من العمل فالعميد والملازم والجندي في الجيش يمارسون مهنة واحدة وهي المهنة العسكرية ، والطبيب والمضمد والصيدلي يمتهنون حرفة واحدة وهي المهنة الصحية وكذلك المغني والعازف والملحن يمتهنون أَيضًا مهنة واحدة وهي الغناء والموسيقى، وكذا بالنسبة للحرف الأُخرى، لكن ممارسي المهنة الواحدة يتقاضون رواتبا مختلفة ، والاختلاف في الرواتب يرجع إلى عدة أَسباب موضوعية اهمها المناطق الجغرافية التي يعملون فيها (المدن والارياف) .

لذا قد يترك الأَفراد بعض المهنة نتيجة انخفاض الأَجر للأفراد العاملين فيها واقبالهم على مهن ذات دخل مرتفع حتى لو كان هناك تفاوت في دخول العاملين في هذه المهن .

ثانيا : المشاغل والورش الحرفية :

من المعروف انه لابد من ان يتوفر لكل حرفة من الحِرَف مكان خاص يمارس فيه الحرفيون اعمالهم وتحدد اماكن العمل تبعا لطبيعة الحرف، سواء كانت في البيت أَم في مشاغل خاصة، ولابدَّ من الإشارة هنا للحديث عن المشاغل وتطورها التاريخي وصولًا إلى عصرنا الحديث عبر تسلسلها الزمني الذي عرف سكان بلاد الرافدين المشغل فيه بإعداد وتصنيع المواد الاولية وتحويلها إلى منتجات مصنعة على اختلاف

انواعها واشكالها ويبدو ان الجماعات الحرفية اتجهت ومنذ المُدد الاولى إلى التجمع في مكان عمل واحد ، ولم يكن للحرفيين أَهميَّة كبيرة في المُدد التاريخية الاولى، فكان الجنازون وصانعو الفخار يعملون في المعابد، ومن بين المشاغل مشغل النجار الذي يصنع الأَثاث (من مناضد وكراسي وخزانات مختلفة) ومشغل النقار الذي ينحت الحجارة والعاج، اذ كان يصنع اشكالا صغيرة ويرصعها على الأَثاث فضلًا عن الصائغ والجواهري الذي يعمل على صياغة المعادن (الذهب والفضة) والأَحجار الكريمة، كذلك كانت هناك مشاغل لعمال الدباغة ومشاغل عمل القصب والحصران والسلال ومشاغل عمال المعادن ومشاغل الفخارين والخزامين[1]إذ اننا لا نريد الإطالة عن المشاغل في العصر القديم لأننا الذي يهمنا هنا هو المشاغل في مدينة الموصل الَّتي نودُّ أَن نوضِّح ذلك آنفًا.

المشاغل في مدينة الموصل :

لقد اجتهدت مدينة الموصل بأَسواقها ومشاغلها ولاسيَّما سوق باب السراي؛ إذ إنَّنا عندما نتجول في هذا السوق نرى التخصص في الحِرَف والمهن فهناك سوق للفرفوري وسوق للخياطين وسوق البزازين وسوق لصانعي الاحذية وسوق للقزازين وسوق للعطارين وسوق الصفارين وسوق الحدادين، وسوق اخر للسراجين كل هذه مجتمعة كان يحويها سوق الموصل الذي هو سوق باب السراي وهذه بدورها كانت تعتاش على حرفتها ومهنتها وهناك مئات بل آلاف العوائل تعيش من هذا المورد وعلى الرغم من العمل كان ضعيفا نتيجة للوضع الاقتصادي المتردي بسبب البضاعة المستوردة كما ذكرنا آنفًا إلَّا ان الذي زاد الأَمر سوءًا هو احتلال المدينة من عصابات داعش التي أَعمت المدينة برمتها فلم تسلم اي حرفة أَو مهنة أَو مشغل إلَّا وقد تضرر من هؤلاء العصابات فصار العمل شبه متوقف الَّذين يجنون الأموال هم الذين انخرطوا مع هذه العصابات ونلاحظ ان عمل المشاغل شبه متوقف لعدم وجود رواتب للموظفين وكذلك ضعف العمل إذ لا توجد مواد اولية تدخل إلى هذه المدينة إلَّا عن طرق بسيطة قد لا تسد حاجة هذه المشاغل، ومن ثم بعد التحرير قد ازداد الأَمر اكثر

(1)مارتن ليفي ، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في بلاد وادي الرافدين ، مصدر سابق ، ص11 .

ضراوة؛ لأَنَّ السوق الذي نذكره قد دمر بالكامل فضاعت معالمه ومشاغله وهدمت جميعها وازدادت البطالة والفقر فبدأ هؤلاء العاملين في الحِرَف والمهن يبحثون عن مورد آخر للعيش وحتَّى الذي بقى على مهنته صار يبحث له عن مشغل أَو محل في الساحل الأَيسر ليعيد وضعه الاقتصادي وعمله كما كان قبل دخول داعش إِلَّا انه تفاجأ بغلاء الإِيجار في الساحل الأَيسر اضف إِلى ذلك ان هذه الحِرَف والمهن تباعدت عن بعضها، لا يوجد سوق يحويها بتخصصها كما كانت فصارت مشتتة هنا وهناك وضاع أَثرها وتراثها وطريقة العمل فيها، كل هذه الأَحداث وغيرها من الوضع الاقتصادي المتردي الذي يمر به العراق بشكل عام ومدينة الموصل بشكل خاص جعلت من هذه الحِرَف ان تختفي أَو لربما تزول، فنرى العاملين فيها بدئوا يبحثون عن عمل اخر لكسب رزقهم وطريقة عيشهم الجديدة التي قد فرضت عليهم نتيجة الأَحداث المجتمعة والانفة الذكر.

أَمَّا الذي استطاع أَن يحافظ على الحرفة فقد انتقل إِلى سوق النبي يونس (عليه السلام) في الساحل الأَيسر من المدينة؛ إِذ انتقل اليه أَغلب الحرفيين بمختلف تخصصاتهم ولأن السوق المذكور هو شارع واحد لا يفي بالغرض ولا يوجد فيه تخصص للحرفة فهو يحتوي على ازقة ضيقة وصغيرة وفي اغلبه دور سكنية قديمة البناء حولت بعد ذلك إِلى دكاكين ومحلات للحرفة والمهنة وبإيجارات باهظة الثمن فلم يستطيع اغلب الحرفيين الانتقال اليه بسبب غلاء الإِيجار كما ذكرت وهنا واجهوا مشكلة أُخرى لذلك اضطر الكثير منهم ترك حرفته ومهنته والبحث عن مصدر رزق آخر يستطيع أَن يديم حياته وحياة اسرته منه ونرى ان البطالة ارتفعت من جديد للأَسباب المذكورة منها ان المحلات التي تركها أَصحابها في سوق الموصل للجانب الأيمن بقيت مهدمة ولا يستطيع صاحبها ان يعيد صيانتها من جديد لأنها تحتاج إِلى دعم حكومي كبير بسبب الدمار الهائل الذي حصل بها لذلك سيطرت البضائع الغربية المستوردة بكل ما تحمله من موضة وثقافة غربية دخلت على ثقافتنا وتراثنا الشرقي الذي صار نادراً وجودهُ في أَسواقنا.

ثالثاً: انواع من المهن :

تزخر بلاد الرافدين منذ ان دبت عليها أَقدام الإِنسان بمنتوجات بالغة الأَهميَّة ، منها ما هو طبيعي لم تمتد اليه الايدي لصيرورته إِلى مادة أُخرى (كالبرتقال – التمر) ومنها ما حول إِلى نوع جديد من المنتوج الطبيعي مثل اللبن ، ومثلما كان العراق ولا يزال بلد للتنوع الاثني والديني والمذهبي فإِنَّه كان متنوعًا بحدارة ومهارة إِنتاجه الزراعي والغذائي الذي يتفنن في صناعته، وقد اختصت بعض المدن العراقية بنوع خاص من هذه الإِنتاجات الطبيعية والمصنعة ومنها مدينة الموصل التي اختصت أَيضًا بكثير من المهن نذكر فيها :

1. مهنة الكبابجي: وهو الشخص الذي يبيع اللحم المثروم اي الذي يشويه بعد أَن يوضع في (شياش) وهي قضبان حديدية مضلعة توضع على النار .
2. مهنة الباججي: يبيع الباجة بمواعين عميقة الَّتي تؤكل صباحًا على الأَغلب من العمال والعملة .
3. مهنة الحلاوجي: أَي الذي يبيع الحلويات التي تشتهر بها مدينة الموصل .
4. مهنة القوطجي: وهو بائع وتاجر السكر والشاي والصابون وسمي بهذه التسمية؛ لأَنَّه يبيع بضاعته في (قوطية) لئلا تختلط أَو تتغير رائحتها وطعمها .
5. الصفار: ويعمل في سوق الصفارين بطرق النحاس ويصنع منه القدور والصواني والأَباريق ويستعمل في ذلك عدد من المطارق والماسكات والنار، كما يقوم بالنقش على النحاس والفافون الذي يستخدم بعد النحاس في عملية الأَدوات المنزلية .
6. الفحام: وهو بائع الفحم المصنوع في شمال العراق من مرقد الأَخشاب بمعزل عن الهواء تحت اكوام من التراب.

7. **الحبال: وهو بائع وصانع الحبال التي تصنع من نبات العنب أَو السوس أَو القطن ولكل منها استعمالات خاصة لنشر الملابس وربط الحيوانات وربط البضائع ...الخ .**
8. **القوندرجي: وهو الذي يصنع الأَحذيَّة الرجالية والنسائية بعد وضع جزء من الجلد في قالب خشبي ويقوم بصناعته باستعمال المسمار واللاصق .**
9. **الجقماقجي: وهو صانع الأَسلحة مثل السيوف والخناجر والحراب سابقا اما الان فهو الذي يقوم بتصليح (المسدس وبنادق الصيد) وما إِلى ذلك .**
10. **الاطرقجي : وهو بائع السجاد والبسط والفرش المنزلية وسجاد الحائط الذي يستخدم للزينة، وأَصل الكلمة (اورطاقجي) وهو الدلال الذي يبيع الحاجات فيستفيد منها البائع والمشتري[1].**
11. **اليوزبكي: وهو بائع المواد المنزلية مثل القلائد والاساور المصنوعة من الزجاج والأَحجار ومواد التدخين مثل المقادح و ورق السكائر والشخاط وادوات الحلاقة والأُبر والخيوط والتسميات (الجقماقجي، والأَطرقجي، واليوزبكي هي كلمات تركية الأَصل وتعني اليوزبكي اللقب العالي (مائه بيك) وهي تطلق على من يتاجر بمئة نوع من السلع[2].**
12. **القزاز : وهو صانع وبائع العقال (الشماغ) أَو الغترة وهو لباس الرأس المعروف في العراق.**

(1)ازهر العبيدي ، الموصل ايام زمان ، الطبعة الثانية ، بدون جهة نشر ، 1988 ، ص264 .
(2)المصدر نفسه ، ص266 .

13. السراج: وهو صانع الحقائب والأحزمة وأغلفة الأسلحة من الجلد المحلي المدبوغ وكان سابقا يصنع سروج الخيل في منطقة السرجخانة بالموصل التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى السراج والسراجين[1]. .
14. الحصيرجي: وهو الذي يصنع الحصران والزنابيل من مادة البردي .
15. التتنجي: يبيع التبغ الذي يزرع في شمال العراق بأنواع لكل منها مذاق ورائحة خاصة .
16. الكواز: يبيع الأواني الفخارية التي تصنع في افران خارج المدينة ويسمى بـــ (ابو الشغبات).
17. التحافجي: وهو بائع المناشف والخاوليات والبرانص وأغطية المنام .
18. المسديوالجومي: لقد انقرضت هذه الحرفة حالها حال الكثير من الحِرَف التي ذكرناها آنفًا والمقصود بـــ (المسديوالجوحي) هو الذي يعمل في حياكة النسيج بعد انتشار مكائن النسيج فكان المسدي يعد الغزل للحياكة بنشره على عيدان من القصب ثم يرفع الغزل عن القصب ليركب على الجوحيثم يقوم الرجل الذي يسمى الجومي أَيضًا بنسجه وتحويله إلى مناشف وبطانيات وعباءات رجالية .
19. الصواف: وهو بائع صوف الغنم وشعر الماعز الذي يشتريه الناس لعمل الفراش.
20. النداف: وهو الذي يقوم بحشي الوسادات والدواشك بالقطن والصوف وهو في أَغلب الأَحيان يقوم بجولات بين المناطق والأَحياء أَي (جوال) على قدميه ثم يقوم بحشي هذه الدواشك داخل المنازل للمواطنين .

(1)الباحث ينحدر من عائلة تعمل في السراجة حيث ان والده سراج يعمل في السراجة منذ عام 1943م ولديه محل للسراجة في سوق باب السراي بمدينة الموصل .

21. الشماع: وهو الشخص الذي يصنع شموع الإنارة في المساجد والجوامع قديما .

22. الوتار: وهو صانع وبائع الاوتار .

23. الكلاك: وهي مهنة فلكلورية نهرية ، فقد واكبت مهنة الملاحة النهرية الإنسان منذ ان استوطن ضفاف الانهار ولأنه اكتشف ان ركوب النهر والنزول في تياره إلى إذ يريد ولا يكلفه إلَّا رصف القليل من جذوع الأَشجار، وربط بعضها ببعض الاغصان ليركب عليها ومعه بعض ما يحتاجه ولم تكلفه العملية إلَّا بعض الجهد ثم يستعمل يديه (كمجذافين) للاقتراب أَو الابتعاد من الشاطئ والمخاطر التي تعترضه .

والإنسان بعمله هذا يكون قد استعمل وابتكر أَوَّل وأَبسط (كلك) ثم عمل جاهدا بتوالي الزمن إلى تطوير هذا الكلك بما يلائم الراكب والحمولة[1].

24. الفروجي: وهو صانع الفروة ، اذ يعتبر من أَبرز ما يرتديه الرجل في المنطقة الشمالية الباردة .

25. التنكجي: وهو الذي يصنع التانكيات لخزن الماء فيها .

26. الحمامجي: وهو الرجل الذي يمتلك حمام التي يرتادها اغلب الناس لوجود البخار والماء الحار فيها، وقد يستخدمها البعض لعلاج المفاصل بسبب شدة الحرارة من البخار والماء.

27. المدلكجي: وهو الذي يعمل في الحمام ويقوم بتدليك الرجال بمادة الكيل ولاسيَّما الرجال الذين لديهم الآم في الظهر .

ثانيا: بدايات التدريب على الحِرَف والصناعات :

لم تكن الصناعات اليدوية في العصور المبكرة حصرًا على اسر وجماعات معينة ، بل كانت كل أُسرة تقوم بتوفير ما تحتاجه من الآلات والأَدوات البسيطة ، أي

(1)شعبان رجب الشهاب ، مجلة التراث الشعبي ، المركز الفلكلوري ، 1975 ، ص97 .

ان الإنتاج كان للاكتفاء الذاتي فقط ، ثم تطورت الحياة الاقتصادية وتخصصت كل أُسرة وجماعة معينة بإنتاج معين فاتجه البعض للزراعة والإنتاج الزراعي والحيواني في حين اتجه آخرون للتخصص في بعض الحِرَف والصناعات وعد لكل جماعة اساليب خاصة للعمل واحتفظت كل منها بأسرار حرفتها لنفسها لا تعلمها لمن هو خارج نطاق أَفرادها[1].

وكانت رغبة الحرفيين كبيرة في الاحتفاظ بسر حرفهم وكانت تقاليد الحرفة واسرارها من شأنها ان تجعل الحرفة مربحة ، وفي الوقت ذاته تكون حكرًا على جماعة معينة وتحول دون انتقالها من جماعة إلى أُخرى ، لقد كان الحرفيون حريصين على نقل اسرار حرفهم إلى اولادهم من بعدهم بحيث لا يسمح لغير ابناء اصاحب الحرفة الاطلاع عليها إلى درجة ان البعض يخفي اسرار الحرفة عن الكتابة ، فمثلا إذ يكتب بعض المعلومات عن الادوية لا تذكر الوصفات والمقادير المستعملة في التركيب رغبة في الحفاظ على سر الحرفة ومنع الشخص الاعتيادي من تعلمها فتبقى حكرًا على اصحاب الحرفة لوحدهم[2].

كذلك مثلا مهنة (التورنجي) وهذه الحرفة كان يختص بها الأَخوان من الطائفة المسيحية حصرًا وكانت تنتقل بينهم فقط وهكذا كان الاحتفاظ عليها وعلى أَصالتها .

لقد حرص حرفيو بلاد الرافدين على إعداد أَولادهم وتدريبهم على حرفهم كل حسب تخصصه أَو صنعته وذلك بضرورة تمرين الصبي على العمل من أَجل أَن يكون مؤهلا للحرفة وبعد ذلك يخلف اباه في الحرفة التي تعلمها ، يتضح لنا من ذلك ان الابن كان يرافق اباه في عمله من بداية يوم العمل وحتى نهايته وكانت مدة العمل اليومي طويلة اذ تستمر من الصباح الباكر حتى غروب الشمس ، ويؤكد الباحث هذا الأَمر ، فمثلا انني كنت اذهب إلى المدرسة ومباشرة عند انتهاء الدوام ظهرًا أَذهب إلى المحل لمساعدة والدي في السراجة ولا أَعود إلى البيت إلَّا برفقته بعد غروب الشمس وكنت اقوم بواجب الدرس والمدرسة ليلًا، فلقد تعلمت كثيرا من مهنته السراجة وقد خلفت والدي بعد ذلك في هذه المهنة .

ثالثا: الحرفي الأَجير والحرفي الحر (المستقل) :

---

(1)فاضل عبد الواحد علي وسليمان عامر ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، مطبعة جامعة الموصل ، 1979، ص99 .

(2)فرج حبة ، الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق ، مطبعة سومر ، 1969 ، ص109 .

يمكن أَن تميِّز بين نوعين من الصنَّاع والحرفيين منهم الحرفيين الإجراء الذين يقومون بعملهم لحساب غيرهم لقاء اجر محدد يتقاضونه، أَمَّا النوع الثاني فمنهم الحرفيون المستقلون (الاحرار) وهؤلاء يمارسون عملهم في بيوتهم أَو مشاغلهم الخاصة، ولا بد أَن يكونوا هؤلاء قد ورثوا الحرفة عن آبائهم؛ إِذ يمتلكون وسائل الإِنتاج وأَدواتهم البسيطة ولهم حرية التصرف في عملهم كما يشاؤون بعيدًا عن التسلط والسيطرة .

أَمَّا فيما يتعلَّق في العمال الإِجراء، فإِنَّ هناك بعض العمال الذين يعملون بشكل دائم وتحت تصرف أَحد المراقبين مقابل أُجور معينة، ونوع آخر يكلفون بإنجاز عمل في مُدَّة معينة ويتسلم هؤلاء أُجورًا[1].

لقد كان للثقافة المادية الغربية انعكاسًا واضحًا على الحِرَف اليدوية الشرقية للأَسباب التي تم ذكرها في متن البحث؛ إِذ غزت هذه الثقافة أَسواقنا ببضائع مستوردة وبأشكال متنوعة قد تكون رديئة أَو حتى جيدة لكنها اثرت وبشكل واضح على الاقتصاد العراقي لأنه لم يبقى أي إِنتاج محلي يذكر من زراعة وصناعة بكل أشكالها وذلك لفقدان الدعم الحكومي في هذا الجانب؛ لأَنَّ أَغلب الورش والصناعات المحلية البسيطة أغلقت لعدم توفر المواد الأولية للإِنتاج وحتى أَن توافرت فهي غالية الثمن مقارنة بالبضائع المستوردة التي تشكل نصف ثمن الإِنتاج المحلي فترى أَنَّ الفرد يتجه إِلى شراء البضائع المستوردة كونها رخيصة أَو اقل كلفة من الإِنتاج المحلي ومن ثُمَّ سوف يكتسب الثقافة الغربية دون وعي بذلك لأنها لربما فرضت عليه..... لذا فقد وضع الباحث مجموعة من التوصيات.

الخاتمة والتوصيات

يرى الباحث أَنَّ غياب الحِرَف التقليدية في أَسواقنا يعدُّ من جملة الظواهر والتغييرات التي يعيشها مجتمعنا العراقي بشكل عام والموصلي بشكل خاص، فقد نسمع في ايامنا هذه بعض الحِرَف التي نجهل ماهي وقد نجهل هذه حرف، وذلك كنتيجة لغياب هذه الحِرَف ، كذلك أَنَّ الظروف التي مرَّت على بلدنا من أَحداث وشواهد جعلت من هذه الحِرَف أَن تضمحل وقد تنتهي تقريبًا كونها لم تحصل على الدعم المناسب من

(1)عامر سليمان ، النظم المالية والاقتصادية الاصالة والتأثير ، بغداد ، العراق ، 1988 ، ص450 .

المسؤولين والواقفين على هذا الأَمر بسبب الأَحداث المتسارعة التي مرت على العراق كما ذكرنا منذ عام 2003 وإلى حد الان حتى أَنَّ المواد الأَوَّليَّة التي كانت تديم هذه الحِرَف بدأت هي الأُخرى تتقلص أَو تصدر خارج العراق، فمثلا نرى ان الجلود العراقية تصدر إلى الخارج لتدبغ ثم تعود لنا على شكل احذية أَو حقائب أَو مستلزمات أُخرى فنحن نصدرها بأَبخس الأَسعار ثم نعود نشتريها مرة أُخرى بأعلى الأَسعار وهكذا على بقية الحِرَف والمهن وما إلى ذلك ، وهذه الحقيقة كلها بحد ذاتها اثرت وبشكل مباشر على اقتصاد البلد وعلى اضمحلال الحِرَف وبما ان الحِرَف هي التراث الَّذي يعتز بهذه الحضارات ومنها العراق إلَّا اننا بدأنا نفقدها للأَسباب التي مر ذكرها في دراستنا هذه بسبب الثقافة المادية الغربية، لذا فقد وضع الباحث مجموعة من التوصيات لغرض الحفاظ على هذا التراث الحضاري ومعالجة الأَسباب التي تؤدي إلى انحسارها وهي كما يأتي:

- فرض رسوم كمركية على السلع الداخلة وفقًا لقوانين .
- الاعتماد على السلع المحلية العراقية وذلك بعد الارتقاء بالصناعة وتحسين الإنتاج .
- إعطاء قروض ميسرة لأصحاب الحرف، ليستطيع هؤلاء الحرفيون فتح مشاغلهم واعادة احياء ما اندثر من حرف فالباحث كان لعائلته مشغلين لإنتاج الاحذية أَحدهما للأحذية النسائية والاخر للأحذية الرجالية وكان يعمل فيها اكثر من (35) عاملًا وقد سرح جميعهم من العمل وأَغلق المعلمين لعدم وجود المواد الأَوليَّة المدعومة من الدولة؛ إذ ان الإنتاج المحلي عندما يتم استيراده وبشكل شخصي يكلف ضعفين السعر بعد اكمال الإنتاج قياسًا للمستورد .
- كذلك اعداد خطة شاملة على جميع الصناعات التقليدية القائمة ومحاولة اعادتها التي اختفت نهائيًا.

- **على الحكومة المركزية أَن تضع في حساباتها إِعمار ما تهدم من سوق الموصل (باب السراي) ليستطيع مابقي من الحرفيين العودة إِليه والعمل فيه من جديد كونهم تركوا تاريخًا طويلًا فيه .**
- **كذلك من ضمن التوصيات التي يوصي بها الباحث إِعادة مركز المحافظة إِلى الساحل الأَيمن والبعض من الدوائر الرسمية التي كانت فيه لتدب الحياة من جديد عسى أَن يكون جزءاً من إِنهاء المشكلة التي يعاني منها أَبناء المدينة.**
- **إِنشاء مراكز محلية تأخذ على عاتقها رعاية الحِرَف والصناعات التقليدية وتكون من بين أَوَّليَّات هذه المراكز دراسة التراث الحرفي وتسجيله عالميا .**

ختامًا أَرجو أَن أَكون قد وفقت ببحثي هذا لإعطاء صورة عن الحِرَف التقليدية في مدينة الموصل، وعن كيفية انعكاسات الثقافة المادية الغربية على حرفنا اليدويَّة الشرقية وتراثنا العريق، ومن الله التوفيق .

References

- Salim Boutros Elias, **The Role of Intellectuals in Building Civil Society**, an unpublished doctoral dissertation, Salah al-Din University, Erbil, 2007, p. 20.
- Aziz Hanna Daoud and Anwar Hussein Abdel-Rahman**, Educational Research Methods**, Ministry of Higher Education and Scientific Research, University of Baghdad, Iraq, 1990, p.8.
- Mahmoud Al-Sayed Abu Al-Nil, **Psychosocial Statistics**, Anglo-Egyptian Bookshop, 4th edition, 1984, p. 16
- Ihsan Muhammad al-Hassan**, A Systematic Study in the History of the Pure Sociology Approach**, University of Baghdad, Iraq, 1975, p. 30.
- Ihsan Muhammad al-Hassan, **Encyclopedia of Sociology**, The Arab Study of Encyclopedias, 1st edition, Beirut, Lebanon, 1990, pp. 3-4.
- Mowaffaq Wesi Mahmoud, and Fayez Muhammad Daoud**, Mosul Market Porters,** Journal of Al-Rafidain Arts, Issue (56), University of Mosul, Iraq, 2010.

- Gharib Mahmoud and Mr. Abdel-Maati, **Rural and Urban Sociology**, University Knowledge House, Alexandria, 1988.
- Muhammad Mohi Abd al-Hamid, and Muhammad Abd al-Latif al-Sayes, Al-Mukhtar min Sahih al-Lugha al-Arabiyya, 1st edition, Al-Istiqama Press, Cairo, Egypt, 1934.
- Ashley Montaco, **Primitiveness**, translated by Muhammad Asfour, The World of Knowledge, National Council for Culture and Arts, Kuwait, 1982.
- Qais Al-Nouri, **Economic Anthropology**, House of Wisdom, Higher Education Press, Mosul, Iraq, 1982,
- Bashir Muhammad Ali, **Economic Dictionary**, Arab Institute for Studies, 1985.
- Abd al-Majid Abu Turab**, The Family of Professions Historically and Presently**, Damascus, Syria, pp. T.
- Michelle Denket, **The Lexicon of Meeting**, Translated by the Life of Muhammad Al-Hassan, Dar Al-Rasheed Publishing House, Baghdad, Iraq, 1980.
- Shafiq Ibrahim Salih, **popular markets in the city of Kirkuk (an anthropological study)**, an unpublished master's thesis, submitted to the Council of the College of Arts, University of Baghdad, Department of Sociology, 1994.
- Barnes Al-Marhawi, **History of Historical Writing**, translated by Muhammad Abd al-Rahman, Cairo, Egypt, 1984, p. 25.
- Taqi al-Dabbagh, **The Weapon in Prehistoric Times**, without a publishing house, Baghdad, Iraq, 1988.
- Walid Al-Jader, **The First Agricultural Communities**, Without a Publishing House, Baghdad, Iraq, 1989.
- David Otis, **The Emergence of Civilization**, without a publishing house, translated by Lutfi Al-Khoury, Baghdad, Iraq, 1988, p. 133.
- Qahtan Rashid Salih, **The Archaeological Scout in Iraq**, Baghdad, Iraq, 1987, p. 76.
- Taha Baqer, **History of Ancient Civilizations**, 3rd edition, Baghdad University Press, Iraq, 1973, p. 194.

- Taqi al-Dabbagh, **Pottery in the Prehistoric Era**, Dar al-Ma'rifah, Baghdad, Iraq, 1985, p. 10.
- Taha Baqir, **The Epic of Gilgamesh**, Baghdad University Press, Iraq, 1986, p. 27.
- Bahija Khalil, **Assyrian Trading Colonies in Anatolia**, Development and Oil Magazine, No. 7, 1981, p. 50.
- Martin Levy, **Chemistry and Chemical Technology in Mesopotamia**, translated by: Fayyad Al-Mayahi and others, Baghdad, Iraq, 1986, p. 261.
- Walid Al-Jader, **Crafts and Handcrafts in the Late Assyrian Era**, Baghdad, Iraq, 1985.
- Saleh Hussein Al-Duwaij, Al-Obeid in Iraq, B, N, Baghdad, Iraq, 1976, p. 186.
- Ihsan Muhammad al-Hasan, **Industrial Sociology**, Baghdad Press, Iraq, 1986.
- Saeed Al-Diwaji, **History of Mosul**, Part One, Publications of the Scientific Society, Baghdad, Iraq, 1982, pg. 402.
- Muwaffaq Wesi Mahmoud and Fayez Muhammad Daoud**, Porters of the Mosul Market**, Journal of Arts of Al-Rafidain, Issue (56), College of Arts, University of Mosul, 2010, p. 361.
- Ahmed Abdel-Khaleq et al., **Social Class**, Journal of Social Sciences, Volume (29), Issue (3), Kuwait University, Kuwait, 2001.
- Saeed Al-Diwaji, **Women's Industries in Mosul**, Mosul Heritage Encyclopedia, Mosul Studies Center, University of Mosul, Iraq, 2008.
- Samuel Henry, **Legends in Mesopotamia**, translated by: Yusuf Daoud Abdel Qader, Iraq, 1986.
- Abbas Kazem, **the Phenomenon of Commodity Dumping and its Impact on the Iraqi Economy,** www.islamon-linenet.bakdad, 8/9/2003.
- Sobhi Haddad, Iraqi Handicrafts Victim of Occupation, Islam: and from the Internet: www.islamon:line-8/9/2003.

- Muhammad Nasrallah, **Popular Handicrafts**, Star Times, 2009. www.startimes.com.2009. Visited 9/16/2022.
- Fayez Muhammad Daoud and Mona Shaker Muhammad**, Handicrafts versus Imported Goods**, Al-Rafidain Arts Journal, University of Mosul, Issue 52, 2012.
- Martin Levy, **Chemistry and Chemical Technology in Mesopotamia**, previous source.
- Azhar Al-Obeidi, **Mosul, The Old Days**, second edition, without a publishing authority, 1988.
- Shaaban Rajab Al-Shehab, **Popular Heritage Magazine**, Folkloric Center, 1975.
- Fadel Abdel Wahed Ali and Suleiman Amer, **Customs and Traditions of Ancient Peoples**, Mosul University Press, 1979.
- Faraj Habbah, **Chemistry and its Technology in Iraq**, Sumer Press, 1969.
- Amer Suleiman, **Financial and Economic Systems**, Originality and Influence, Baghdad, Iraq, 1988.

Western Material Culture and its Impact on Eastern Handicrafts: A social and Analytical Study in Mosul's Markets

Fayez Muhammed Daoud *

Abstract

This research highlights western culture and its impact on Eastern handicrafts that are in complete loss, due to the spread of western culture in our markets, specifically Mosul's markets that are famous for high craftsmanship, production quality and singularity in all crafts and professions, as an urban city has a history and its presence among all industrial cities in terms of the presence of factories and craftsman, even though it was small, but it meets the

* **Asst.Prof/Department of Sociology/College of Arts/University of Mosul.**

need and ambition, as well as, handicrafts gives a clear image about the legacy of Mosul, in addition, it provides an economic return as an income for individual and family that might live on, then explain the roles that went through a long time ago and what it reached at the present time, under the economic conditions that our country is going through, including Mosul after 2003 and so far. This clearly affected the absence of many crafts that were practiced in the markets of Mosul. This topic also has a great importance ,as it has affected family cohesion and entity as well, I saw that I study the dimension of this phenomenon and the reasons for the absence of almost many crafts and its impact on people's lives and their new way of living , and perhaps their weak family cohesion in light of the new culture, as well as ,its impact on economic of Iraq. All these conditions made me study this phenomenon and its causes.

Key words: western culture / handicrafts / Mosul/ markets.